المسار العربي ـ الاسرائيلي نحو التطبيع الكامل، دون اشتراط، أو ربط التطبيع بحل القضية الفلسطينية. وهذا المسار يجعل التعامل مع القضية الفلسطينية محصوراً ضمن نطاق المشروع الاسرائيلي، ويفقدها عنصر الاسناد العربي، والدولي، ويمكّن من تحويل خطة الحكم الذاتي، في أحسن الاحوال، الى صيغة نهائية للحل، مع بقاء الاحتلال وتشريعه.

ان هذه العناصر الرئيسة التي يحتويها مشروع الحل الاميركي كانت، دائماً، تشكّل محوره وأساسه، منذ اتفاقيتي كامب ديفيد. لكنها تحوّلت، بعد حرب الخليج والنتائج التي أسفرت عنها، الى خطر واقعي والى خطة قابلة للتطبيق، بفعل الانتصار الاميركي في الحرب، وما ترتب بنتيجتها من اصطفافات جديدة في المنطقة، جعلت الدول العربية الاساسية وصاحبة الدور والنفوذ تخضع لهيمنة القرار الاميركي ولشروطه.

ولا يمكن ان نعزل هذا التحوّل في ميزان القوى عن التغيّرات التي تمّت على المستوى العالمي خلال السنوات الماضية، وأبرزها انهيار المعسكر الاشتراكي وتقلّص الدور السوفياتي، وتأثير ذلك، علاوة على الآثار التي تركتها حرب الخليج في تحجيم الدور الاوروبي واخضاعه، الى حدّ بعيد، لقرار واشنطن وهيمنة دورها، وخصوصاً في ما يتعلّق بحل مسائل النزاع الاقليمي.

ان هذه المعطيات التي نتجت عن هذا التغيّر في ميزان القوى الاقليمي، والدولي، هي التي تدفع واشنطن الى اغتنام الفرصة التاريخية السانحة من أجل اعادة صياغة التحالفات داخل المنطقة، واقامة توازن استراتيجي جديد يحقق لها الهيمنة الكاملة. ولا ريب في ان مسعى واشنطن الراهن الى تحقيق «تسوية» نهائية للصراع العربي / الفلسطيني ـ الاسرائيلي هو مسعى جاد بفعل الظروف السانحة، لتأمين استقرار تامّ لمصالحها، وخاصة النفطية، ولتجنّب أية مفاجآت، أو خضّات، عنيفة في المستقبل، مثل زلزال أزمة الخليج، ولتمكين اسرائيل من الحصول، لأول مرة، على الاقرار بكونها طرفاً اقليمياً رئيساً في المنطقة، يحمي «أمنها» الاستراتيجي، ويتداخل مع اقتصادها، ويشارك في استغلال ثرواتها وأسواقها.

فالولايات المتحدة الاميركية تحضّر، الآن، مسرح الاحداث في المنطقة من أجل تحقيق تسوية متعدّدة الجانب: حل فلسطيني ـ اسرائيلي لا يمسّ دور اسرائيل وقدرتها على السيطرة على الشعب الفلسطيني ومنعه من تقرير مصيره وحصوله على الاستقلال، وحل عربي ـ اسرائيلي يحقق انهاء الصراع في الشرق الاوسط بشكل تامّ، ونهائي، بحيث تتحوّل اسرائيل الى دولة اقليمية كبرى في الشرق الاوسط تحفظ التوازن فيه، وترتبط، مباشرة، بعلاقات مفتوحة مع بلدانه، وحل أمني ـ استراتيجي تستطيع الولايات المتحدة الاميركية بموجبه ان تضمن استقرار مصالحها بموجب تحالف شامل عسكري ـ أمني ـ اقتصادي مع دول المنطقة، وان تحمي منابع النفط، وان تسيطر على التسلّح، وان تتحكّم بعلاقات المنطقة الاقتصادية مع العالم. ومثل هذا «الانتصار» الاميركي، لو تحقّق في الشرق الاوسط، سيكون له أثره في تعزيز النظام الدولي الجديد كما تخطط له واشنطن على النطاق الكوني، لفرض السيطرة الاميركية على الكتل والتجمّعات الدولية الاخرى.

وهكذا يتبيّن ان اندفاع واشنطن الحالي الى انجاز التسوية تتحكّم به مصالحها الاستراتيجية في المنطقة وعلى نطاق العالم. وبالتالي، فان ما تتذرّع به، وتتخوّف منه، أوساط يائسة بأن واشنطن قد تتخلّى عن مساعيها الراهنة، وتضيع «الفرصة» الوحيدة والأخيرة المتاحة أمامنا، بما يتركنا فريسة لمواصلة الاستيطان وزحف الهجرة اليهودية وفرض الامر الواقع الاسرائيلي علينا هي